# خلاصة عامة

ومما سبق عرضه وجدنا أن السيَّاب شغل نقاده في حياته بتغيير مواقفه السياسية، فقد بدأها في صفوف الشيوعيين، ثمّ ما لبث أن عاداهم أبلغ العداء وأوجعه، ومال إلى صفوف القوميين، حتّى إذا التقى بمجلة « شعر » ومحرريها انخرط في صفوفهم ، وتبنى مفاهيمهم الشعرية والسياسية التي هي أكثر قرباً إلى الغرب منها إلى الشرق.

ولا نظن ذلك النوع من الاهتمام إلاّ مرحلة عابرة تقتضيها المعاصرة، ولكن الشعر لا يكتب لجيله أو زمانه، وكثيراً ما تتغير الظروف والأحوال والأسماء، ويبقى الشعر، فقد بقى شعر أبي الطيب المتنبي، وأصبح سيف الدولة الحمداني في تاريخ الأدب هامشاً على قصائده، لا يرجح للقصيدة فضلاً أو يسلبها جمالاً، فإن الفن أكثر حياةً وثباتاً من تقلبات السياسة وتغيرات الأيام.

وقد كان السيَّاب أكثر معاصريه فطنة في تصوره لماهية الشعر، وأشدهم إخلاصاً للقناع الشعري الذي اختاره. فلقد وهب السيَّاب حساً تاريخياً بهذه المرحلة التي يجتازها الشعر العربي، مشاركاً فيها سواه من أوجه الحياة العربية الحديثة، في طموحه وطموحها إلى التجدد والتوفيق بين الأصالة والمعاصرة أو بين الموروث والمستفاد، على حد تعبير الشاعر صلاح عبد الصبور.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن قصيدة (أنشودة المطر) كانت منعطفاً مهماً في انتاج السيَّاب / ١٩٥٤ م /، لقد ساهمت هذه القصيدة في ترسيخ قدم الشاعر في عالم الشعر، ورسمت معالم القصيدة الحديثة وثبّتت مكانتها لزمن طويل كثيراً ما دعي السيَّاب بشاعر المطر وقد ظل هذا اللقب عالقاً به إلى ما بعد وفاته.

لهذه القصيدة موازٍ في شعر إيديث سيتويل بعنوان « ما يزال المطر يسقط » إن نظرة فاحصة على كلتا القصيدتين تكشف لنا عن مشابهات صارخة في المضمون

والشكل، في الرؤيا والرمز، في التركيب والصور والإيقاع، حتّى ليخيّل إلينا أن كلتا القصيدتين قد ولدتا من خيال أو رحم واحد. إنهما توأمان ولكنهما يمتلكان شخصيتين متمايزتين.

طبعاً إن التأثر قائم، لكن السيَّاب يمتشق رؤياه الشعرية من مشكلات بيئته وعصره، والمؤثرات الشعرية تأتي لتخدم هذه المعاناة وهذه الرؤيا في بيئة وإطار معينين.

إن قصيدة « المسيح بعد الصلب » للسيَّاب ليست غريبة على صور ورموز الشاعرة في القصيدة المذكورة إياها و « أغنية شارع » وغيرها من القصائد لشاعرة التشاؤم والحزن.

إلا أن السيَّاب أكثر إيماناً بالحياة وأقل تشاؤماً وحزناً. فالحياة في مطر السيَّاب ومسيحه أقوى من الموت، والمسيح في شعره تموز لا تخطئه القيامة، إلا أن التشاؤم يطبق على صوت الشاعر ويصبح علامة بارزة في قصائده التموزية المتأخرة «كسر بروس بابل » و « مدينة السندباد » و « مدينة بلا مطر ».

وقد ترجم د. نذير العظمة قصائد بعينها للشاعرة سيتويل لاعتقاده بأنها ذات تأثير مباشر على بعض قصائد السيَّاب، ناهيك عن أنَّ المؤثرات تتعدى هذه القصائد إلى منحى الشاعر العام وموقفه الإنساني. إنّ قصائد سيتويل الثلاثة ضد إلقاء القنابل الذرية على هيروشيما لها أهمية مماثلة، وهي جديرة بالاهتمام لنفس الأسباب.

مهما يكن فإن تقديم الشاعرة سيتويل إلى قراء العربية أمر ضروري لا لفهم بعض إنتاج الشاعر العراقي حقّ فهمها فحسب بل لإلقاء مزيد من الضوء على العلاقات والمؤثرات الأجنبية في حركة الشعر الحديث من زاوية الدراسات المقارنة.

ويبدو فهم هذه الحركة ناقصاً ومشوّهاً عندما تعزل عن تفاعلاتها مع حركة الشعر العالمي على حد تعبير الدكتور نذير العظمة.